

تاريخ القبول: 2020/11/18

تاريخ الإرسال: 2020/01/20

تاريخ النشر: 2021/04/30

اللحن في الدرس اللغوي القديم Mistake in the old language lesson

بوغنامة خليفة، عنيشل خديجة

مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب . جامعة قاصدي مرباح ورقلة

Aniche1975@gmail.com . Boughenama.khalifa@univ-ouargla.dz

ملخص:

يتناول هذا المقال بالدراسة ظاهرة اللحن اللغوي بداية بتعريفه، ثم التأصيل الزمني لنشأته وشيوعه في الأوساط، واقفا على أبرز الأسباب المؤدية لذلك، منوها بجهود اللغويين في اكتشافه وبعض مؤلفاتهم فيه، وختم بنماذج مختلفة منه.

الكلمات المفتاحية: اللحن اللغوي - اللغويون - اللغة العربية - العرب.

Abstract:

This article examines the phenomenon of linguistic mistake beginning with its definition, then establishing the temporal origin of its formation and its prevalence in circles, standing in the most important reasons leading to this, noting the efforts of linguists in discovering it and their most important books in it, and stamped with various models of it.

Key words: Linguistic mistake – linguists – Arabic language - The arabs.

المؤلف المرسل: بوغنامة خليفة، BOUGHENAMA1991@GMAIL.COM

1. مقدمة:

إن اللغة ظاهرة إنسانية واجتماعية قديمة، وتخضع لمعايير متعددة، وما دامت كذلك فقد تطرأ عليها تغيرات عبر العصور بفعل عوامل معينة، واللغة العربية في هذا الحكم كباقي اللغات، ولعلّ من أبرز الظواهر التي لفتت انتباه المختصين فيها، ظاهرة اللحن اللغوي، فما المقصود باللحن في هذا المجال؟ ومتى ظهر؟ وما الأسباب التي تقف وراء نشأته واستفحاله في الأوساط؟ وما موقف اللغويين منه؟ وسبب اختيار الموضوع كونه يتعلّق بقضية لغوية مهمة وذات بال تُخلّ بسلامة اللغة ووصولها حتى النص القرآني، فأردت خدمة اللغة العربية والقرآن خاصة، وإفادة الباحثين في المجال وتقويم اللسان والقلم من الزلل.

وقد استندت الدراسة إلى المنهج الوصفي من خلال جمع آراء العلماء حول الظاهرة موضوع الدراسة ثم إتباعها بالمناقشة والتحليل قصد الوصول للحقيقة العلمية.

تسعى الدراسة للوصول إلى بعض الأهداف من أهمها: التعريف باللحن اللغوي ونشأته وتطوره، وأهم الأسباب التي أدت إلى استفحال ظاهرة اللحن، ثم إبراز جهود اللغويين في مقاومته، وصولاً إلى بيان بعض النماذج منه وكشف الصواب فيها.

2. تعريف اللحن:

1.2 لغة: اللحن من الأصوات المصوغة الموضوعة وجمعه ألحان ولحون، وتختلف معاني كلمة (لحن) في اللغة العربية وأشهرها كما ذكر أهل اللغة: (الغناء، الخطأ، اللغة، الفطنة، المعنى)¹، ونقصد منها في بحثنا هذا المعنى الثاني (الخطأ)، والذي يحدد معنى كلمة اللّحن هو السياق الذي جاءت فيه الكلمة طبعاً، وقد يختلف أهل اللغة أحياناً في معناها في شاهد واحد.

2.2 اصطلاحاً: يقصد بكلمة (اللحن) في هذا المجال: الخطأ والميل عن التعبير الصحيح ومجانبة الصواب؛ حيث عرّفه الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) بقوله: "

صرف الكلام عن سننه الجاري عليه، إما بإزالة الإعراب أو التصحيف، وهو المذموم، وذلك أكثر استعمالاً² وشاهده في ما ينسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام: "أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنت لي اللحن"³ أي كيف يأتيني الخطأ؟، ويروى في إعراب قوله تعالى: "وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ" قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي" أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ"⁴ أَنَّ سيبويه قال: احتبى ابن مروان⁵ في اللحن حين قرأ "وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ" قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي" أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ"⁶ (بفتح الراء)، والمقصود أنه بالغ في الخطأ.

ويروى أن أعرابيا دخل السوق فوجدهم يلحنون فقال: "العجب يلحنون ويربحون" أي يخطئون ويربحون⁷.

ويعرفه أبو هلال العسكري (ت393هـ) بأنه: "صرفك الكلام عن جهته ثم صار اسماً لازماً لمخالفة الإعراب"⁸. أي تحويله عن جهته الصحيحة ثم خُصَّص بالخروج عن قواعد الإعراب.

وشاهد هذا قول أ في فضل علم النحو:

النحو يبسط من لسان الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلاً فأجلها منها مقيم الألسن⁹

كما عرّفه ابن شهيد الأندلسي (ت426هـ) بقوله: "هو الخطأ في الاستعمال أو

العدول عن وجه الصواب أو اختيار ما خالف الفصحح الراجح"¹⁰.

ومن المحدثين عبد العزيز مطر الذي يرى أن اللحن هو "الخطأ في اللغة

أصواتها أو نحوها أو صرفها أو معاني مفرداتها"¹¹.

ومن التعريفات البارزة عند المحدثين ما جاء على لسان الدكتور رمضان عبد التواب حيث يرى بأنه "مخالفة العربية الفصحى سواء أكان ذلك في الأصوات أو الصيغ أو التراكيب أو حركات أواخر الكلمات وهذا ما عناه كل من ألف في قضية اللحن من القدماء والمحدثين"¹².

في هذا التعريف نلاحظ تعميم مجال اللحن في مستويات عديدة وعدم حصره في مخالفة الإعراب فقط، كما رأينا عند أبي هلال العسكري.

و من خلال هذه التعريفات نخلص إلى أنّ اللحن هو مجانبة الصواب قراءة أو كتابة، فقد عدّ القدماء الخروج عن السنن المألوفة في اللغة العربية خطأ سموه لحناً ووصفوه بأنه عيب لا ينبغي الوقوع فيه، وهو ما كان سبباً في ازدهار حركة التصحيح اللغوي¹³.

3. بدايات ظهور اللحن:

اختلف الباحثون حول قضية نشأة اللحن؛ فمن قائل إلى أن بداياته كانت منذ العصر الجاهلي، بينما نجد آخرين ينسبونه إلى عهد الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام، وقد نفى الأغلبية وقوع اللحن في العصر الجاهلي لأنهم يرونه عاملاً مخلاً بالفصاحة، ويحاولون توجيهه على أنه لغة شاذة أو نادرة¹⁴.

أما القائلون بوجوده في العصر الجاهلي فيستدلون ببعض الشواهد التي انحرفت عن القواعد المتعارف عليها عند أهل اللغة، ومنها قول النابغة:

فبتّ كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السّمّ ناعم¹⁵

وقد تعقب عيسى بن عمر الثقفي هذا البيت فقال: "أساء النابغة؛ إنما هو ناعم"¹⁶.

كما يوردون قول طرفة بن العبد:

قد رفع الفخّ فماذا تحذري ونقرّي ما شئت أن تنقرّي¹⁷

فالأصل أن يقول: تحذرين؛ لأنه لا داعي لحذف نون الفعل إذ لم يتقدم عليه ناصب أو جازم.

وممن يرى وقوعه في العصر الجاهلي كمال إبراهيم إذ يقول: " إن الذي يدل على اعتبار اللحن قد استخدم لفظه في الجاهلية بدليل تخطئة النحاة للنباغة وطرفة بن العبد ¹⁸ .

أما من رأى بأن بدايات اللحن كانت في صدر الإسلام فحجتهم أن اللحن سببه دخول الأعاجم في دين الله أفواجا فاختلطت الألسن وفشا اللحن وخاصة في قراءة القرآن الكريم، يقول الزبيدي (ت 379هـ): " ولم تزل العرب العاربة في جاهليتها وصدر من إسلامها تنزع في نطقها بالسجّية وتتكلم على السليقة، حتى فُتحت المدائن ومُصرت الأمصار، ودُوّنت الدواوين فاختلط العربي بالنبطي، والنقيّ الحجازي بالفارسي، ودخل الدين أخلط الأمم وسواقط البلدان فوقع الخلل في الكلام، وبدأ اللحن في السنة العوام ¹⁹ .

ويميل إلى هذا الأستاذ مصطفى صادق الرافعي إذ يقول: " والمراد باللحن الزيف عن الإعراب وهو أول ما اختبل من كلام العرب ولم يكن منه قبل الإسلام شيء... وكل ما كان في بعض القبائل من خور الطباع وانحراف الألسنة فإنما هو لغات لا أكثر " ²⁰ .

نستنتج أن المانعين لوقوع اللحن في العصر الجاهلي يوجّهونه على أنه اختلاف لهجات قبائل العرب، والجاهليون أرباب الفصاحة فيستحيل اللحن منهم، كما أن مصدر اللحن الأصلي هو اختلاط العرب بباقي الأجناس وإنما حدث هذا في صدر الإسلام.

ففي صدر الإسلام فشا اللحن أكثر بسبب بعض الموالى والعبيد الأعاجم الذين كانوا يخطئون في قراءة القرآن الكريم، وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه

قال حينما لحن أحد بحضرته: " أرشدوا أحاكم فقد ضل ²¹، ومما يروى في هذا الصدد أن أعرابيا قرأ: " لا يأكله إلا الخاطئين ²² فوضع الإمام علي علم النحو بسببه، ويروى أيضا أنه قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: من يقرئني شيئا مما أنزل الله تعالى على محمد - صلى الله عليه وسلم - ؟ فأقرأه رجل سورة براءة فقال: " بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2) وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [وَرَسُولُهُ] فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" بالجر، فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر - رضي الله عنه - مقالة الأعرابي فدعاه، فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن فسألت من يقرئني؟ فأقرأني هذا سورة براءة فقال: " بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2) وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [وَرَسُولُهُ] فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (بجر اللام في رسوله) فقلت: أوقد برئ الله تعالى من رسوله؟ إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فقال عمر - رضي الله عنه - : ليس هكذا يا أعرابي، فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: "بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2) وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" ²³ فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم، فأمر عمر -

رضي الله عنه- أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع النحو²⁴.

تعكس هذه القصة شناعة اللحن واستفحاله لدرجة وصوله إلى النص المقدس، ومنذ هذا هبّ العلماء وبدأت الصيحات الأولى لوضع النحو حفاظاً على القرآن الكريم.

ويستدل الرافعي من خلال قول الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث: "أرشدوا أخاكم فقد ضل"، يقول: "فلو كان اللحن معروفاً في العرب قبل ذلك العهد مستقر الأسباب التي يكون عنها، لجاءت عبارة الحديث على غير هذا الوجه لأن الضلال خطأ كبير والإرشاد صواب أكبر منه في معنى التضاد، بل إن عبارة الحديث تكاد تنطق بأن ذلك اللحن كان أول لحن سمعه أفصح العرب صلى الله عليه وسلم"²⁵.

وروى الجاحظ أنّ أول لحن سُمع بالبادية: (هذه عصاتي)، وأول لحن سمع بالعراق: حيّ على الفلاح²⁶ (بكسر الياء) والصواب حيّ (بالفتح).

ويمكن القول بأن شيوع اللحن كان من أهم الأسباب الداعية لوضع علم النحو وما ذلك إلا لشناعته ونفرة الطباع واشتمزاز النفوس منه وإخلاله بسلامة اللغة و مجاوزته لمقاييسها حتى وصل إلى الكتاب المقدس.

أما في العصر الأموي فقد شاع اللحن أكثر بسبب كثرة الاختلاط بالأمم الأخرى غير العربية واتساع رقعة الإسلام، ولم يقتصر على العوام بل تعدّاهم إلى الخواص من ملوك وعلماء، فقد روي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان جالسا عند الوليد بن عبد الملك وكان الوليد لحائناً فقال: يا غلام ادع لي صالحاً، فقال الغلام: يا صالحاً، فقال له الوليد: انقص ألفاً، فقال له عمر: وأنت يا أمير المؤمنين زد ألفاً²⁷.

وقيل لعبد الملك بن مروان: "أسرع إلى رأسك الشيب" فقال: "شيبني ارتقاء المنابر مخافة اللحن"، وكان يقول: "اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب والجدرى في الوجه"، ومن أقواله أيضا: "الإعراب جمال للوضع واللحن هجنة على الشريف"²⁸.

كما روي أن هند بنت أسماء بن خارجة لحنّت عند الحجاج فقال لها: "أتلحنين وأنت شريفة من بيت قيس" ؟ فردت عليه: أما سمعت قول أخي مالك لامرأته الأنصارية ؟ قال: ما هو ؟ قالت:

منطق صائب وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا²⁹

فقال لها الحجاج: إنما قصد أخوك اللحن في القول إذا كتّى المتحدث عمّا يريد، ولم يعن العربية، فأصلحي لسانك³⁰.

فكل هذه الشواهد وغيرها توحى بأن اللحن قد عمّ الأوساط ولم يسلم منه حتى الخواص من الناس رغم الصبغة العربية التي تميز بها الأمويون وأولئك القلة الذين يزدرون منه ويحاولون منعه بأي وسيلة.

وإذا جئنا إلى العصر العباسي فإن الويل قد عمّ بسبب اللحن ولم يسلم منه حتى خواص الخواص وهذا بسبب الانفتاح على الأمم المجاورة الأخرى من فرس وهنود ويونان، واتهم بعض العلماء بأنهم لحّانون، ولا نبالغ إذ قلنا بأن اللحن قد أصبح شيئا مألوفاً في الأوساط بسبب كثرته والتساهل فيه وإيجاد المخرج منه، وممن جرح باللحن حماد الرواية فقد قيل عنه بأنه لحنه لحانة، ويروى أن الكميت رفض أن يملئ أشعاره عليه لأنه فشا لحنه³¹؛ ويقول صاحب الفهرست³²: "إن حماد كثيرا ما يلحن"³³.

وحكى الكسائي: صليت بالرشيده فأخطأت في آية ما أخطأ فيها صبي قلت: "لعلهم يرجعين" فو الله ما اجتراً الرشيد أن يقول: أخطأت، لكن قال: أي لغة هذه؟

قلت: يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد. قال: أما هذا فنعم، وكان يقول: ربما سبقني لساني باللحن³⁴.

وما إن يحل القرن الرابع الهجري مع نهاية عصور الاحتجاج فإننا نجد اللحن قد صار أمراً عادياً لا يكاد يُشعر بالإثم أو الحرج تجاهه لكثرة ما تعودوا عليه، حتى قال أحد المحدثين: "ما إن يحل القرن الرابع الهجري حتى نجد اللحن في اللغة أمراً مألوفاً يوشك أن يكون غير معيب في أوساط المتقنين"³⁵.

وينعى ابن فارس اللغوي (ت 395 هـ) هذا عليهم فيقول: "وقد كان الناس قديماً يجتنبون اللحن فيما يكتبونه أو يقرؤونه اجتنابهم بعض الذنوب. فأما الآن فقد تجوز حتى أن المحدث يحدث فليحن. والفقيه يؤلف فيلحن. فإذا نُبِّها قالوا: ما ندري ما الإعراب وإنما نحن محدثون وفقهاء. فهما يسران بما يساء به اللبيب"³⁶.

من خلال ما سبق نلاحظ بأن اللحن استفحل مع مرور الزمن بداية بالعصر الجاهلي - على خلاف في هذا كما رأينا - ثم تطور في صدر الإسلام ثم العصرين الأموي والعباسي وما هذا إلا لزيادة رقعة الإسلام وكثرة الانفتاح على الأجناس الأخرى.

4. عوامل ظهور اللحن:

لا شيء يولد صدفة بل لابد من أسباب تقف وراءه، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى بروز ظاهرة اللحن نجد:

1.4 اختلاط العرب بغيرهم من الأمم والأجناس:

وهذا من أبرز الأسباب؛ فبعد ظهور الإسلام دخل فيه الناس أفواجا وكان فيهم الأعاجم من موالٍ وغيرهم، ففسد اللسان العربي بسبب الاحتكاك بهم لأن الإنسان إلف مألوف يؤثر ويتأثر، قال ابن الجوزي (ت 597هـ): "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عربياً وكذلك جمهور أصحابه وتابعيه في كلامهم ما كان

مشهوراً بينهم ثم وقعت مخالطة الأعاجم ففشا اللحن⁽³⁷⁾ يروى أن الفراء (ت 207هـ) لحن يوماً بين يدي هارون الرشيد فرد عليه هارون، فقال: "يا أمير المؤمنين إن طباع الحضر اللحن، فإذا تحفظت لم أَلحن وإذا رجعت إلى الطبع لحتت"³⁸، فإن كان هذا في حق الفراء فكيف بغيره؟.

2.4 كثرة الأمهات والمربيات الأعاجم في الأسر العربية:

ونشأ هذا عن السبي الذي كان في المغازي والفتوح فنشأ اللحن في الأبناء على غفلة من الآباء، وقد ظهر هذا في أبناء الأعيان من ملوك وأمراء، فقد روي أن معاوية رضي الله عنه كتب إلى زياد - يريد عبيد الله ابنه - فلما جاءه وكلمه وجده يلحن، فردّه إلى أبيه وكتب إليه يلومه قائلاً: "أمثل عبيد الله يُضيع؟" علماً أن أم عبيد الله كانت فارسية³⁹.

ويقول الجاحظ: "وكانت في عبيد الله لكنة لأنه كان نشأ بالأساورة مع أمه مرجانة وكان زياد قد زوجها من شيرويه الأسواري"⁴⁰.

3.4 التعصب و الصراعات الحزبية والنزعة الشعبوية⁴¹:

بعدما كثر الاختلاط بالأعاجم بدأ العرب يفقدون مكانتهم لا سيما وأن هؤلاء الغرباء كانوا يحتلون مراكز مرموقة في الدولة كالوزراء والملوك وكانوا يتعصبون للغاتهم، وشيئاً فشيئاً ضعفت اللغة العربية واعتراها الكثير من الأخطاء؛ فنجد أبا عبيدة معمر بن المثنى صاحب كتاب (مجاز القرآن) كان إذا أنشد بيتاً لا يقيم وزنه وربما أخطأ في قراءة القرآن الكريم وقد يعتمد اللحن في حديثه ويقول: "النحو محدود". ولا غرابة في هذا فإننا نجد في ترجمته: "المولى التيمي البصري، كان يبغيض العرب وألف في مثالبها كتباً وكان يرى رأي الخوارج"⁴².

ومن شواهد هذا التعصب الطعن في اللغة العربية أو حروفها أو التفتق من علمائها وجهودهم؛ إذ يرى حمزة الأصفهاني (ت 360هـ) أن الذي أبدع صور

حروف اللغة العربية لم يضعها على حكمة ولا احتاط لمن يجيء بعده وذلك أنه وضع لخمس حروف صورة واحدة وهي الباء والتاء والثاء والياء والنون وكان وجه الحكمة فيه أن يضع لكل حرف صورة مباينة للأخرى حتى يؤمن عليه التبديل⁴³. وهذا الرأي في الحقيقة كلمة حق أريد بها باطل لأن منشأه هو شعوبي غايته التفتيش من العرب ولغتهم، فقد رُمي صاحبه بالشعوبية والتعصب للفرس على حساب العرب وقال عنه القفطي: "كان ينسب إلى الشعوبية ويتعصب على الأمة العربية"⁴⁴.

4.4 تساهل الأمراء والوزراء وبعض العلماء في أمر اللحن:

فقد أصبح اللحن شيئاً عادياً، بل ربما التمس بعضهم للحنه وجهاً صحيحاً أو رأياً عند النحاة واستتكتف عن إقراره به، وأصرَّ على لحنه وكأنه لم يلحن، وقد حكى المقدسي (ت 380هـ) أنه كثيراً ما كان يحضر مجلس قاضي القضاة ببغداد ويخجل من كثرة لحنه⁴⁵، وذكر الحريري (ت 516هـ) "أنه رأى كثيراً ممن تستموا أسنمة الرتب، وتوسموا بسمه الأدب قد ضاهوا العامة في بعض ما يفرط من كلامهم وترعف به مراعى أعلامهم مما إذا عُثر عليه وأثر عن المعزو إليه خفض قدر العلية ووصم ذا الحلية"⁴⁶.

5.4 اشتغال غير العرب من الموالي والعجم بالعلم:

كان أغلب حملة العلم من الأمة الإسلامية من العجم إلا نادراً لاشتغال العرب بالفتوح والسياسة وإدارة الدولة، وإن وُجد العربي نسباً فهو أعجمي في لغته ومرباه ومشيخته، وهؤلاء العجم مهما فقهوا في اللسان ورسخوا في العلم لم تكن أسنمة بعضهم لتخلص من منطقها الفطري ولغتها الأم لأن الأعجمي في الأمة الإسلامية يأخذ العلم بغير لسانه الذي سبق إليه ومن غير خطه الذي يعرف ملكته⁴⁷.

فهذا الفراء (ت 172هـ) دخل يوما على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه مرّات، فقال جعفر بن يحيى البرمكي: إنه قد لحن يا أمير المؤمنين، فقال الرشيد: أتلحن؟ فقال الفراء: يا أمير المؤمنين: إن طباع أهل البدو الإعراب، وطباع أهل الحضر اللحن، فإذا تحفظت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لحن⁴⁸.

كانت تلك أهم أسباب انتشار اللحن وهي أسباب علمية موضوعية، تركت أثرها السلبي البارز على اللسان العربي، وهو ما تجلّى في هذه الظواهر الدخيلة عليه والتي أبرزها اللحن سواء ما كان في المفردات أو التراكيب أو الإعراب.

5. اهتمام القدماء باللحن:

لقد أولى القدماء عناية خاصة بمسألة اللحن خوفا من ضياع اللغة العربية بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الأجnas، فراحوا يفتشون عن الأخطاء التي شاعت في اللسان العربي، بل إن منهم من طاف القبائل العربية الفصيحة ليسمع عنهم، وانعكس هذا في التأليف المتنوعة في قضايا اللحن، فازدهرت حركة التصحيح اللغوي أو ما يسمى بالتنقية اللغوية، وسنذكر أهم ما كتب في ذلك مراعين التسلسل الزمني.

1.5 أهم كتب القدماء في اللحن:

لما رأى اللغويون الغيورون على اللغة مدى استفحال ظاهرة اللحن تصدّوا له، مصوّبين ما شاع منه في شكل مؤلفات ومن أبرزها وفق التسلسل الزمني:

- ما تلحن فيه العوام (الكسائي 189 هـ): وهو أولى المحاولات باتفاق أغلب العلماء.

- ما يلحن فيه العامة لأبي زكرياء الفراء (207 هـ): وهو كتاب مفقود .

- ما يلحن فيه العامة للأصمعي (216 هـ): وهو مفقود كذلك.

- ما خالفت فيه العامة لغات العرب لأبي عبيد القاسم بن سلام (224 هـ)

- إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت (244 هـ)
- أدب الكاتب لابن قتيبة (276 هـ)
- الفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (297 هـ)
- التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة بن الحسن الأصبهاني (360 هـ).
- التنبيهات على أغاليط الرواة لأبي القاسم علي بن حمزة البصري (375 هـ).
- لحن العوام لأبي بكر الزبيدي (379 هـ).
- تمام فصيح الكلام لأحمد بن فارس (395 هـ).
- تنقيب اللسان وتنقيح الجنان لابن مكي الصقلي (501 هـ).
- درة الغواص في أوهام الخواص للحريري (516 هـ).
- التكملة فيما يلحن فيه العامة للجوالقي (539 هـ).
- تقويم اللسان لابن الجوزي (597 هـ)⁴⁹

نماذج من اللحن من كتب القدماء:

بعد الوقوف على أغلب كتب اللحن والتصويب اللغوي السابق ذكرها، اخترنا هذه النماذج من اللحن التي شاعت على الألسنة:

الصواب	اللحن
كسرت ظُفْر (بضم الفاء)	كسرت ظُفْر زيد ⁵⁰ (بتسكين الفاء)
شكرت لك	شكرتك ⁵¹
قد تأذيت بالدخان (بتخفيف الخاء)	قد تأذيت بالدخَان ⁵² (بتشديد الخاء)
معدن (بكسر الدال) ⁵³	معدن (بفتح الدال)
ما فعلت هذا قط	لا أفعل هذا قط ⁵⁴
فلان أهل لكذا	فلان مستأهل لكذا ⁵⁵
استخفيت من فلان	اختفيت من فلان ⁵⁶

ماء ملح	ماء مال ⁵⁷
حدثني الناس كافة	حدثني كافة الناس ⁵⁸
قرأت آل حامي	قرأت الحواميم ⁵⁹
فاكهاني ⁶⁰	فاكهني
المفتاح (كشر الميم)	المفتاح (بضم الميم) ⁶¹
سائر (تعني الباقي)	سائر (بمعنى الجميع) ⁶²
هبت الأرواح	هبت الأرياح (جمع ريح) ⁶³
أرضون (بفتح الراء)	أراضي (جمع أرض) ⁶⁴

6. خاتمة:

7. في ختام الدراسة تمّ التوصل لبعض النتائج، من أهمها:

* - قضية اللحن من أهم الظواهر اللغوية التي واجهت اللغة العربية في مسيرتها عبر العصور.

* - اللحن في اللغة هو الانحراف عن الاستعمال السليم للغة في مستوياتها المختلفة نحواً وصرفاً وصوتاً وتركيباً...

* - ظاهر اللحن لم تولد صدفة بل لها عوامل ومن أهمها اختلاط العرب بالأجناس الأخرى بداية بصدر الإسلام ثم الأموي فالعباسي.

* - تصدي علماء اللغة لمواجهة اللحن من خلال مؤلفاتهم المختلفة المتضمنة لكثير من النماذج منه واقتراح الصواب

* - لزوم اقتفاء أثر اللغويين القدامى في مواجهة مختلف مظاهر اللحن الحديثة.

8. المراجع:

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 379/13، مادة: لحن.

- ² الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ، ص738.
- ³ جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، 1998م، 341/2.
- ⁴ هود 78.
- ⁵ هو محمد بن مروان السدي، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، انظر غاية النهاية 2/261.
- ⁶ قرأها ابن مروان خطأ : بفتح الراء.
- ⁷ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414هـ، 1993م، 23/1.
- ⁸ أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية ، ص: 55.
- ⁹ ينظر البيهتان في إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث، أبو البقاء العكبري، دار ابن رجب، ط1، 1418 هـ، ص 12.
- ¹⁰ ابن شهيد الأندلسي، التهذيب بمحكم الترتيب، ت: د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1420هـ، 1999م، ص 06.
- ¹¹ عبد العزيز مطر، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1981م، ص 17.
- ¹² ينظر: رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2، 2000م، ص: 13.
- ¹³ ينظر: فهد خليل زايد، الأخطاء الشائعة النحوية والصرفية والإملائية دار اليازودي العلمية للنشر والتوزيع، دط، دت، ص 68.
- ¹⁴ ينظر، محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، مكتبة بيروت، ط1، 1400هـ، ص 34.
- ¹⁵ النابغة الذبياني، الديوان، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، دت، ص 33، والشاهد في البيت أن النابغة رفع كلمة نافع والأصل نصبها لأنها حال.
- ¹⁶ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ت: أبو محمد عبد الرحمان بن محمد بن إسماعيل، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط1، 1426هـ، 2005م، ص 109.

- ¹⁷ طرفة بن العبد، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1423هـ، 2002م، ص: 49.
- ¹⁸ كمال إبراهيم، محاضرات طلبة الدراسات العليا، جامعة دمشق، كلية اللغة العربية، آداب 1997-1998 م.
- ¹⁹ الزبيدي، لحن العوام، ت: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1420هـ، 2000م، ص 59.
- ²⁰ مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، دط، دت، 153/1.
- ²¹ علاء الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ت: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ، 1981م، 611/1.
- ²² الحاكمة (37)، والآية: (لا يأكله إلا الخاطئون).
- ²³ الفتوة (03)
- ²⁴ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص 23.
- ²⁵ مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، 153/1.
- ²⁶ الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دط، 1423هـ، 151/2.
- ²⁷ الجاحظ، البيان والتبيين، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ط2، دت، ص 424.
- ²⁸ ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ، 308/2.
- ²⁹ البيت لمالك بن أسماء بن خارجة، ينظر: أبوبكر الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992م، 1، 305.
- ³⁰ الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1373هـ، 1954م، 15/1.
- ³¹ ينظر: إشراق نور الدين الصافي محمد، قضية اللحن في اللغة العربية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة الخرطوم، السودان، الموسم 2010/2009 م، ص 22.
- ³² هو ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق.
- ³³ ابن النديم، الفهرست، عناية الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعارف، بيروت، ط2، 1417هـ، 1997، ص 134.

- ³⁴ الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، دط، 1427هـ، 2006م، 554/7.
- ³⁵ عبد الفتاح سليم، اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009م، ص 76.
- ³⁶ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر: محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م، ص 35.
- ³⁷ محمد عبد الله بن التمين، اللحن اللغوي وآثاره على الفقه واللغة، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، ط2، 1433هـ، 2012م، ص 40.
- ³⁸ ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ت: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1406هـ، 1986م، 39/3.
- ³⁹ ينظر، أبو عمرو الداني، المحكم في نطق المصاحف، ت: د عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ط2، 1407هـ، 03/1.
- ⁴⁰ الجاحظ، البيان والتبيين، 145/2.
- ⁴¹ الشعوبية هي تعصب كل شعب لقوميته وحضارته وبغض العرب وقد اشتدت في العصر العباسي، ينظر مقدمة البيان والتبيين للجاحظ، 23/1.
- ⁴² ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1994، 235/5 - 238.
- ⁴³ ينظر: حمزة بن الحسن الأصفهاني، التنبيه على حدوث التصحيف، ت: محمد سعيد أطلس، دار صادر، بيروت، ط2، 1412هـ، 1992م، ص 27.
- ⁴⁴ القفطي، إنباء الرواة على أنباء النحاة، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1406هـ، 1982م، 370/1.
- ⁴⁵ ينظر: عبد الفتاح سليم، اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، ص 21.
- ⁴⁶ أبو محمد الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص، ت: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1418هـ، 1998م، 09/1.
- ⁴⁷ ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ت: د علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط3، دت، 3/ 1259 - 1263.
- ⁴⁸ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 39/3.

- ⁴⁹ ينظر: إميل بديع يعقوب، معجم الخطأ والصواب في اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1983 م، ص: 25 - 28.
- ⁵⁰ ينظر: أبو علي الحسن بن حمزة الكسائي، ما تلحن فيه العامة، ت: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1982م، ص 101.
- ⁵¹ ينظر: المرجع نفسه 102، وفي القرآن: "أن اشكر لي ولوالديك"
- ⁵² ينظر: المرجع نفسه، 109، وفي القرآن: "فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين"
- ⁵³ أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، ت:د. عبد العزيز مطر، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت، ص 163.
- ⁵⁴ ابن الجوزي، تقويم اللسان، ص 154، لأن قط تستخدم مع سياق الماضي لا المستقبل.
- ⁵⁵ المرجع نفسه، ص 59.
- ⁵⁶ المرجع نفسه، ص 62 .
- ⁵⁷ المرجع نفسه، ص 165، وفي التنزيل " هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج".
- ⁵⁸ المرجع نفسه، ص 158، لأن كلمة كافة لا تضاف.
- ⁵⁹ المرجع نفسه، ص 72 .
- ⁶⁰ المرجع نفسه، ص 146 وهو بائع الفواكه.
- ⁶¹ المرجع نفسه، ص 163 .
- ⁶² أبو محمد الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص، ت: عبد الحفيظ فرغلي علي القرني، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996م، ص 47.
- ⁶³ المرجع نفسه، ص 190، لأن ربح تجمع على أرواح لا أرياح.
- ⁶⁴ المرجع نفسه، ص 223، وهذا لأن كلمة أرض ثلاثية والثلاثي لا يجمع على أفاعل.